سورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

سورة المزمل

(يأيها المزمل) نداء للنبي صلى الله عليه وسلم ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الزاى وفى تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزملا فى كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف فى الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور ، والثانى أنه كان قد تزمل فى ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أى المتشمر المجد فى أمرها والأول هو الصحيح لما ورد فى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو فى غار حراء فى ابتداء الوحى رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملونى زملونى فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذى أصابه أول ماجاءه جبريل وقال الزمخشرى كان نائما فى قطيفة فنودى يأيها المزمل ليبين الله الحالة التى كان عليها من التزمل فى القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهيلى فى ندائه بالمزمل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلى : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة (قم الليل) هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبى صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفى ، الثانى أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله فى آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضى الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقى فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ماتيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين (إلا قليلا نصفه أو انقص منه قيلا أو زد عليه) فى معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران فى قوله : أو انقص منه ، أو زد عليه : عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه . الثانى : قال الزمخشرى إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة فى استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير فى قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أى زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير

وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد ، القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالى التى يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالى فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه ، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالى ، فإن قيل : لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق فى الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا؟ فالجواب : أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكر فى معانى القرآن بخلاف الهذ الذى لا يفقه صاحبه مايقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل ، والقول الثقيل هو القرآن واختلف فى وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمى ثقيلا لما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحى عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة ، الثانى أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل فى الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهى ، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) فى الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أى التى تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة ، الثانى الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أى تحدث فيه ، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة ، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء ، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هى أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما : أثقل وأصعب على المصلى ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ، والأثقل أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثانى أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطئا بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أى يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك فى النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف فى الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف فى أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شىء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم فى أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أى انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝ السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

قياس (فاتخذه وكيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذى توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التى يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به فى كل وقت (وذرنى والمكذبين) هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التنعم فى الدنيا وروى أن الآية نزلت فى بنى المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين فى الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذاغصة) شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أى يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض فى حلوقهم لاينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتتزلزل والعامل فى يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدينا أنكالا، (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذى تهيله الريح أى تنشره ووزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب (إنا أرسلنا إليكم رسولا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشرى هو خطاب لأهل مكة (وشهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذا وبيلا) أى عظيما شديداً (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الاضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير فى وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ماتقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

سورة المدّثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝

أدنى من ثلثى الليل) هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به فى أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثرو مرة يقل ، لأنكم لاتقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤا ماتيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أى تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل فى تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على مايفهم من سياق الكلام أى لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أى لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) أى إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤا فى صلاتكم بالليل ماتيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لابد منه ولو أقل مايمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله فى هذه الآية الأعذار التى تكون لبنى آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهى الضرب فى الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ماتيسر تأكيدا للأمر به أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى المكتوبتين (وأقرضوا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر فى البقرة (هو خيرا) نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا

سورة المدثر

(يأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذى تدثر فى كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا فى موضعه وقال السهيلى: فى ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا فى المزمل وفائدة ثالثة وهى أن

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجد والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على مايجب من التشمير ، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن : والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأنذر) أي أنذر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أي عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ماروى عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر : من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة ، والآخر أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز ، الثالث : أن معناه لاتلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن الرجز الأوثان ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة ، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر مايؤدي إليه ويوجبه ، الثالث : أنه المعاصي والفجور ، قال بعضهم كل معصية رجز (ولاتمنن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لأمته ، والآخر : لاتعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل مايعطي وإن كثيرا ، وإن كان من المن بالشيء ففيه وجهان ، الأول : لاتمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه ، الثاني : لاتمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لاتضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ماحملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أي اصبر لوجهه وطلب رضاه ، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب ، أو على إذاية الكفار له ، أو على العبادة (فإذا نقر في الناقور) يعني نفخ في الصور ، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرني ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد ، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق ، وفي معنى وحيدا ثلاثة أقوال : أحدها : روى أنه كان يلقب الوحيد ، أي لانظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه ، الثاني : أن معناه خلقته منفردا ذليلا ، الثالث : أن معناه خلقته وحدي فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدوداً) أي كثيراً ، واختلف في مقداره فقيل : ألف دينار ، وقيل عشرة آلاف دينار ، وقيل يعني الأرض لأنها تمدت (وبنين شهودا) أي حضوراً ، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد ، وقيل ثلاثة عشرة لايفارقونه ، وأسلم منهم ثلاثة وهم : خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن أزيد) أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله ، وهذا غاية الحرص

قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ
ٱلْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا
جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ
وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معانداً مخالفا ، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر ، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها عقبة فى جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود ، فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول ، وقدر فى نفسه مايقول فى القرآن أى هيأ كلاما ، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ، ودخل إلى أبى بكر الصديق فعاتبه أبو جهل ، وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول فى كلام محمد قولا يرضيهم ، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول فى القرآن فقال : أقول شعر ماهو شعر ، أقول كهانة ماهو بكهانة ، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاء عليه وذم وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله قتل لايراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أنجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه ، وقال الزمخشرى يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكما بهم (ثم نظر) أى نظر فى قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس ، وفعل ذلك من حسده للنبي صلى الله عليه وسلم أى عبس فى وجهه عليه الصلاة والسلام ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر مايقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عمن تقدم (وما أدراك ماسقر) تعظيم لها وتهويل (لا تبقى ولا تذر) مبالغة فى وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقى شيأ ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب (لواحة للبشر) معنى لواحة مغيرة يقال لوحه السفر اذا غيره والبشر جمع بشرة وهى الجلدة ، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس ، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) يعنى الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صفا من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل : أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به ، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لاطاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ، ويقولون ماقالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما فى كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم حق ، فإن قيل : كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝
نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ
الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ

أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين فى الحال والاستقبال وقال الزمخشرى ذلك مبالغة وتأكيد (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين فى قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أى هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أى لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله (وما هى إلا ذكرى للبشر) الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشرى هى إنكار لأن تكون لهم ذكرى (إذ أدبر) أى ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أى جاء فى دبره (والصبح إذا أسفر) أى أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة أى هى من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح (نذيرا للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أى قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشرى هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أى هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشرى أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء فى رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشرى ليست بتأنيث رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى بمعنى الرهن أى كل نفس رهن عند الله بعملها (إلا أصحاب اليمين) أى أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق وقال على بن أبى طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين فى النار (ما سلككم فى سقر) أى ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أى هذا الذى أوجب دخولهم النار، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نخوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغى من الباطل وشبهه (حتى أتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝

سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا

عطية : إنما اليقين الذى أرادوا ما كانوا يكذبون به فى الدنيا ، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد فى الكفار ، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد فى الآثار ، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فالهم عن التذكرة معرضين) يعنى كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التى استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة فى جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعنى حمر الوحش ، (فرت من قسورة) قال ابن عباس : القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد ، وقيل أصوات الناس ، وقيل الرجال الشداد ، وقيل سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله ، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أى طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أى هذه هى العلة والسبب فى إعراضهم (كلا) تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من ، وفى ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله

سورة القيامة

(لا أقسم) فى الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هى استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هى نفى لكلام الكفار (النفس اللوامة) هى التى تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير فى الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة ، وقيل اللوامة هى المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم (أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها فى التراب ، وهذه الجملة هى التى تدل على جواب

بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

القسم المتقدم (بلى) تقديره نجمعها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير فى نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون (على أن نسوى بنانه) البنان الأصابع ، وفى المعنى قولان : أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوى أصابعه أى نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها والآخر أنه تهديد فى الدنيا ، أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه فى منافعه والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هى للخروج منه إلى مابعده ، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفى معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثانى أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شىء يريده والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوؤه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) فى جمعهما ثلاثة أقوال : أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى النار ، وقيل فى البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما (لا وزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ماقدم منها فى أول عمره وما أخر فى آخره ، وقيل ماتقدم فى حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ماقدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) فى معناه قولان : أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر : أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبما نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما : أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الانسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه فى الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير فى به يعود على القرآن

بَيَانَهُ ۝ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۝ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد فى البخارى وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه فى صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه فى صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهى (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل ما مناسبة قوله لا تحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظرتك أى انتظرتك ، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشرى بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهى تفسير للآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقى) يعنى حالة الموت والتراقى جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أى يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفر وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ *

سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمٰن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا

إذا بلغت التراقى والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلى) لاهنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها فى أبى جهل (يتمطى) أى يتبختر فى مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة فى بنى مخزوم الذين كان أبوجهل منهم (أولىلك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك أولىلك فأولى ثم أولى لك فأولى فنزل القرآن بموافقة ذلك (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء ، فهو كقوله : أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، والانسان هنا جنس ، وقيل نزلت فى أبى جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام (ألم يك نطفة من منى يمنى) النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الانسان على بعثه كقوله : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والعلقة الدم لأن المنى يصير فى الرحم دما (فخلق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) هذا تقرير واحتجاج ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفى رواية سبحانك اللهم بلى

سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام ، وقيل هل بمعنى قل ، والانسان هنا جنس ، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق ، وقيل الانسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله «إنا خلقنا الانسان من نطفة» وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا فى آدم ، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل ، وقال الزمخشرى ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار ، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف فى معنى الأخلاط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة وروى أن عظام الإنسان ، وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة ، وقيل معناه ألوان وأطوار أى يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) أى نختبره وهذه الجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن

معناه نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة (فجعلناه سميعا بصيرا) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه فى بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر فى المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد (إنا هديناه السبيل) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكرا أو كفورا وهما حالان من الضمير فى هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كل من عندالله (سلاسلا) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظيرله فى الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل مالا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف مالا ينصرف فجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر فى الصافات معنى الكاس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو الابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور فى طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك (عينا) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرا خمر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزاد فى مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (يفجرونها تفجيرا) أى يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين (مستطيرا) أى منتشرا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوؤه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية ومابعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» فى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا ويتيما وأسيرا) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين فى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا

رَبُّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۞ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۞ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۞

خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والأول أرجح لأنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم لانريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه فى نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كعبوسهم نهاره صائم وليله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه فى شدته بالأسد العبوس (قمطريرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم نضرة وسرورا) النضرة التنعم وهذا فى مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان (بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، وقد ذكرنا الأرائك (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها أى ليس فيها حر ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشرى هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا، لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها (وذللت قطوفها تذليلا) القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية، أى دانية فى حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة (قواريرا) القوارير هى الزجاج، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة؟ فالجواب: أن المراد أنها فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفائها وشفيفها، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ماذكرنا فى سلاسل (قدروها تقديرا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر مايحتاجون من الشراب قال مجاهد: هى لاتغيض ولا تفيض، وقيل قدروها على حسب مايشتهون، والضمير الفاعل فى قدروها

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها (مزاجها زنجبيلا) هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا (سلسبيلا) معناه سلسل منقاد الجرية ، وقيل سهل الانحدار في الحلق ، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية ، وقيل سل فعل أمر سبيلا مفعول به وهذا في غاية الضعف (ولدان مخلدون) ذكر في الواقعة (لؤلؤا منثورا) شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور (وإذا رأيت ثم) مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها وثم ظرف مكان ، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم حذفت ، قال الزمخشري وهذا خطاب لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة (ملكا كبيرا) يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه ، حسبما ورد في الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك (عاليهم) بسكون الياء مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس ، وقرئ بالنصب على الحال ، من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم . وقال ابن عطية العامل فيه لقاهم أو جزاهم ، وقال أيضاً يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم ، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ (خضر) بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب (وإستبرق) بالرفع عطف على ثياب ، وبالخفض عطف على سندس (وحلوا) وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى (أساور من فضة) ذكرنا الأساور في الكهف ، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة ، وفي موضع آخر أساور من ذهب ؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فلعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً (شرابا طهورا) أي ليس بنجس كخمر الدنيا ، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام ، وقيل معناه لا يصير بولا (إن هذا كان لكم جزاء) أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة (آثما أو كفورا) أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين ، فاعلا للإثم ولا كفورا ، وقيل هي بمعنى الواو أي جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار ، وروى أن الآية نزلت في أبي جهل ، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام ، وإن كان سبب نزولها خاصا (بكرة وأصيلا) هذا أمر بذكر الله في كل وقت ، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس ، فالبكرة صلاة الصبح ، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء (إن هؤلاء يحبون العاجلة) أي الدنيا والإشارة إلى

وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

سـورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا * وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ *

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة ، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال ، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها (فمن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف فى معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين : أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحى وغيره وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح فى سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى ، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم فى الجو ، وينشرون الشرائع فى الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وعلى القول بأنها الرياح ، سماها المرسلات لقوله ، الله الذى يرسل الرياح» وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب فى الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر فى المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر فى الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل فى المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر فى موضع الحال وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر وأما ذكرا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشرى بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال فى الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بذكرا ويحتمل أن

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۞
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۞ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ
وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ۞ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞

يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصبهما على الحال (إنما توعدون لواقع) يعنى البعث والجزاء وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أى زال ضوؤها وقيل محيت (وإذا السماء فرجت) أى انشقت (وإذا الجبال نسفت) أى صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أى جعل لها وقت معلوم فإن ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو (لأى يوم أجلت) هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله (ليوم الفصل) أى يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) تكراره فى هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل فى كل آية ما يقتضى التصديق بجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعا إلى ما قبله فى كل موضع منها (ألم نهلك الأولين) يعنى الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعنى الكفار (ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى المنى، والمهين الضعيف (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى رحم المرأة وبطنها (إلى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى فى بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسى) يعنى الجبال (شامخات) أى مرتفعات (ماء فراتا) أى حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعنى دخان جهنم ومنه ظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون فى ظلال العرش وقيل إن هذه الآية فى عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لا ظليل) نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب (إنها ترمى بشرر كالقصر) الضمير فى إنها لجهنم والقصر واحد القصور وهى الديار العظام شبه الشرر به فى عظمته وارتفاعه فى الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝

سورة النبأ : مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ

واحده قصرة كجمرة وجمر (كأنه جمالت صفر) فى الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أى أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثانى أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهى قلوس السفن وهى حبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن أخر لقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئا بما كنتم تعملون) نصب هنيئا على الحال أو على الدعاء (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا إخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر (فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

سورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن ما ثم أدغمت النون فى الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أى شىء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضا (عن النبأ العظيم) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأى شىء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهادا) أى فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لاشريك له (والجبال أوتادا) شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكرا وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألسنتكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعا للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشرى معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هى السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقاتا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب فى اللغة مايظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه فى أنه لاشىء (مرصادا) أى موضع المرصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

وفاقا * إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا * وكل شيء أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا * إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا * وكواعب أترابا * وكأسا دهاقا * لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا * رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا * إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا *

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ، ثم نسخ بقوله « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا » وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ، وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يبقون أحيانا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء باردا وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر (إلا حميما وغساقا) استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود (جزاء وفاقا) أي موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار ، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أي موضع فوز يعني الجنة (حدائق) أي بساتين (وكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها (أترابا) أي على سن واحد (وكأسا دهاقا) أي ملأى وقيل صافية والأول أشهر (عطاء حسابا) أي كافيا من أحسب الشيء إذا كفاه ، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر وبالخفض صفة لربك ، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشري الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا ، وقيل يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أي تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أي من قالها في الدنيا (ذلك اليوم الحق) أي الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تخصيص وترغيب (عذابا قريبا) يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أو لأن الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) المرء هنا عموم في المؤمن والكافر ، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية (ويقول

سـورة النازعات : مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ

الكافر ياليتنى كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون فى الدنيا ترابا أى لم يخلق ، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها ، وهذا يقوى الأول ، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين

سورة النازعات

اختلف فى معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات ، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم ، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بنى آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون فى سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح فى الفلك ومنه كل فى فلك يسبحون فتسبق فى جريها فتدبر أمرا من علم الحساب ، وقال ابن عطية لا أعلم خلافا أن المدبرات أمراً الملائكة وحكى الزمخشرى فيها ما ذكرنا وقد قيل فى النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد ، وقيل فى السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة ففى معنى غرقا وجهان : أحدهما أنها من الغرق أى تغرق الكفار فى جهنم والآخر أنه من الإغراق فى الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ فى نزعها فتقطع الفلك كله ، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تغرق فى الخروج من الجسد والإعراب غرقا مصدر فى موضع الحال ، ونشطا وسبحا وسبقا مصادر ، وأمرا مفعول به ، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد ، وقيل هو «إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قيل الراجفة النفخة الأولى فى الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشىء إذا تبعته ، وفى الحديث أن بينهما أربعين عاما ، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة ، وقيل الراجفة الأرض ، من قوله «ترجف الأرض والجبال» والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل فى يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل فى يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة» وقوله «تتبعها الرادفة» فى موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره ، وقال الزمخشرى : واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞
فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافت الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار فى الدنيا ، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة فى قوله «أئنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا فى إذا كنا عظاما نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيدا للإنكار المتقدم ثم اختلفوا فى معنى الحافرة على ثلاثة أقوال : أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان فى حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن فى القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التى تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل فى إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون فى الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ماقبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأنا ندخل النار (فإنما هى زجرة واحدة) يعنى النفخة فى الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة فى الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذاهم بالساهرة) إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ فى الصور حصلوا بالأرض أسرع شىء (هل أتاك) توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر فى طه (اذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم (الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده فى الكفر وفى إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا (فحشر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ماقال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ماقال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝

محذوف والآخرة هى دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيرى وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى (أأنتم أشد خلقا أم السماء) هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذى خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذى بين سطح السماء الأسفل الذى يلينا وسطحها الأعلى الذى يلى مافوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أى أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض (وأغطش ليلها) أى جعله مظلما يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أى أظهر ضوء الشمس فى وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا فى فصلت الجمع بين هذا وبين قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة فى موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشرى (والجبال أرساها) أى أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعا لكم) تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه (ولأنعامكم) لأن بنى آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هى القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت لكل من يرى فهى لا تخفى على أحد (مقام ربه) ذكر فى سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أى ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التسترى لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر فى الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أى من ذكر زمانها فالمعنى لست فى شىء من ذكر ذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيراً فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذى ينفعه الإنذار (لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما فى يوم واحد

سورة عبس : مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبدالله بن أم مكتوم الأعمى فقال يارسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبدالله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أى عبس فى وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية فى مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة فى العتب لأن فى ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشرى فى الإخبار بالغيبة زيادة فى الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام للنبى صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعمى) فى موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذى أوجب احتقاره وفى هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أى أىّ شىء يطلعك على حال هذا الأعمى (لعله يزكى) أى يتطهر وينتفع فى دينه بما يسمع منك ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى تتعرض للغنى رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أى لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغنى (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ، ومعنى يسعى يسرع فى مشيه من حرصه فى طلب الخير (وهو يخشى) أى يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده ، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهى) أى تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشىء إذا تركته ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله فى هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى ، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء ، فكان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ماوقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان ، أحدهما : أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبى صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغى أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح لأنه يناسبه : فمن شاء ذكره ، ومابعده ، وأنث الضمير فى قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝

وذكرها فى قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (فى صحف) صفة لتذكرة أى ثابتة فى صحف وهى الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هى مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة فى السماء ومطهرة أى منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) هى الملائكة ، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب ؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده ، وقيل يعنى القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أى أنه يعمل مثل عملهم فى كتابة القرآن وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ماجرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك ، وقيل معناه لعن وهذا بعيد (ما أكفره) تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أى شىء خلقه) توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه) يعنى المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذى خلقه (فقدره) أى هيأه لما يصلح له ومنه خلق كل شىء فقدره تقديرا ، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم فى إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره ، وفى معناه ثلاثة أقوال أحدها : يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان ، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدره وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة ، أى الوقت الذى يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع للإنسان عما هو فيه (لما يقض ما أمره) أى لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله ، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفريط (فلينظر الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار فى الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به ، وقيل فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه ، والأول أشهر وأظهر فى معنى الآية على أن القول الثانى صحيح وانظر كيف فسره بقوله أنا صببنا الماء صبا ومابعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعنى بخروج النبات منها (حبا) يعنى القمح والشعير وسائر الحبوب (وقضبا) قيل هى الفصفصة ، وقيل هى علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا (غلبا) أى غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور ، وقيل التبن وقد توقف

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ .

سورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

فى تفسيره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (الصاخة) القيامة وهى مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة فى الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هى من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم فى الحنو والشفقة فبدأ بالأقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر ، لقوله «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أى هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أى غبار والقترة أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والقترة هى غبار الأرض ، وقال الزمخشرى الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله فى هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله «وإذا الكواكب انتثرت» وروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وإذا الجبال سيرت) أى حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى (وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهى الناقة الحامل التى مر لحملها عشرة أشهر وهى أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أى ترك حلبها (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت وفى صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أى تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع فى أول أهوال القيامة وتفر فى الأرض فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها

سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ * فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا

فالقول الأول والثانى أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هى الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثانى زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أى ردت إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس (وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت) الموؤدة هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأى ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين فى الجنة لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هى صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هى الصحف التى تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء (وإذا السماء كشطت) الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطى السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كشفت وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت وأحميت (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت (علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة فى المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها وقال الزمخشرى هذا من عكس كلامهم الذى يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله « ربما يود الذين كفروا » ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع « ما أحضرت » عبارة عن الحسنات والسيآت (فلا أقسم) ذكرت نظائره (بالخنس الجوار الكنس) يعنى الدرارى السبعة وهى الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشترى والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس فى جريها أى تتقهقر فيكون النجم فى البرج ثم يكر راجعا وهى جوارى فى الفلك وهى تنكنس فى أبراجها أى تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعنى الدرارى الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعنى النجوم كلها لأنها تخنس فى جريها وتنكس بالنهار أى تستتر وتختفى بضوء الشمس وقيل يعنى بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها فى كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل ذلك فى أوله وقيل فى آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أى استطار واتسع ضوؤه (إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهيلى لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت فى الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو فى الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذى قال السهيلى لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذى قوة وقد وصف جبريل

صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *

سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ

بهذا لقوله شديد القوى ذومرة (عندذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عندذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وماصاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقدرآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤية التى رآه عند سدرة المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين (وماهو على الغيب بضنين) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أى لا يبخل بأداء ماألقى إليه من الغيب ، وهو الوحى ، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أى لا يتهم على الوحى بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحى بل اتهموه فنفى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

سـورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار فجرت) أي فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشرى أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ماقدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ماقدمت فى حياتها وماأخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا فى التكوير (ياأيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ماغرك بربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شىء غرك بربك حتى كفرت به أوعصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ماغرك بربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلوما جهولا ، وقيل غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهى آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ

منهما يغر الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغى أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أى عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (فى أى صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك فى أى صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا فى أى صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أى صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحا يدركها به (إن الأبرار لفى نعيم) فى هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها فى البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره للتأكيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدرى أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أى لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرئ يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجازون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو فى موضع رفع

سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف فى اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشرى واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد فى زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس فى

أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً فى هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة ، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أووزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كلتك وكلت لك ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثانى وهو المكيل والموزون والواو التى هى ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذى هى ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أووزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم ، وقيل إنهم فى كالوهم أووزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت فى المصحف ألف بعد الواو فى كالوا ووزنوا فدل ذلك على أنهم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع فى الفعل لا فى المباشر ، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية فى المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم فى البائعين فهم الذين يخسرون المشترى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفى سجين) كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم ، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعد هذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم ولأنه فى مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى الأرض السفلى ، وروى

يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ *

عنه أنه فى بئرهناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه فى شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار فى سجين أى كتبوا هنالك فى الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغى وفى الحديث أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء فى قلبه فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين (لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعى على صحة رؤية المؤمن لله فى الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب الأبرار لفى عليين) عليون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله «وما أدراك ماعليون» ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة ، أو لأنه مرفوع فى مكان علىّ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم فى الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى ، وقد روى فى الأثر ماروى فى الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه فى عليين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه فى سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الأرائك) قد ذكر (ينظرون) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم فى النار وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى فى وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب فى تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم) الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسره الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفى معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشىء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصيانتها الثانى أنه من ختم الشىء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) التنافس فى الشىء هو الرغبة فيه ، والمغالاة فى طلبه والتزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم) تسنيم اسم لعين فى الجنة ، يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۞ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۞ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞

سورة الانشقاق مكية : وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۞ وَأَلْقَتْ

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار ، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر ، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية فى صناديد قريش ، كأبى جهل وغيره مر بهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير فى مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ، والضمير فى يتغامزون للكفار لاغير (فكهين) من الفكاهة وهى اللهو أى يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم قاله الزمخشرى ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى ماأرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أوضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ماقبلها أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا فى ينظرون الذى قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف فى هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا ، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل إذ يقدر السامع أقصى مايتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما فى سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب مادل عليه فملاقيه : أى إذا السماء انشقت لقى الإنسان ربه ، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت فى اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء مافيها (وحقت) أى حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أى يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تشقق ، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء

مَافِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف فى القاف التى بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أى زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت مافيها وتخلت) أى ألقت مافى جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت مافيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أى بقيت خالية مما كان فيها (ياأيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح فى اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك فى غاية الاجتهاد فى السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت فى كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقى ربك ، وقيل المعنى إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتى كتابه بيمينه) ذكر فى الحاقة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وفى الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى يرجع إلى أهله فى الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته فى الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشرى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا فى أبى سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفى أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال فى الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال فى الحاقة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى فى صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه (يدعو ثبورا) أى يصيح بالويل والثبور (إنه كان فى أهله مسرورا) أى كان فى الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا فى مقابلة ماحكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا فى الجنة وهو ضد ماحكى عن المؤمنين فى الجنة من قولهم إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أى لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أى يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر فى نظائره (بالشفق) هى الحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتركبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ماطابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تركبن فأمامن قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الانسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأمامن قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شىء والثالث لتركبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أوفى موضع حال من الضمير فى تركبن قاله الزمخشرى (فمالهم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شىء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشرى هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أومشهود به أومشهود فيه ، وقداضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولا يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولا ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل